

## مقدّمة

---

---

منذ مطالع المسيحيّة نصف الإيمان بأنّه "مستقيم الرأي"، ونفرّقه عن "العقيدة المختلفة". ما من شكّ في أنّ البدعة الكبرى التي لا تعادلها بدعة كانت الأريوسيّة المتكرّرة لإلهيّة السيّد وهي ركن الأركان عندنا لكونها تعبيراً عن الثالوث المقدّس الذي يتضمّن كلّ إيماننا، بمعنى أنّ كلّ شيء ينطلق منه.

بعد هذا الشرخ الكبير في ظهور البروتستنتيّة في أوروبا. ومع أنّ مارتن لوتر احتسب أنّه يلتقي بإصلاحه الكنيسة الشرقية، إلّا أنّه خرج عن الكنيسة الكاثوليكيّة أو هي أخرجته لفروق بدت في البدء أساسيّة ولكنّها ذلّت في ما بعد. لم تدلّل كلّ الصعوبة. ثمّ أخيراً كان الحوار بين الكنائس اللوثرية وبيننا وتقدّم تقدّمًا كبيراً.

أجل، علينا أن نعرف بأنّ تقصيرنا في الرعاية والتعليم والوعظ أفسح في المجال لتسرّب الفرق المناوئة. فهي تقرئ الناس الإنجيل، ونحن اعتقدنا أنّ شعبنا يعرف الإنجيل مجرد سماعه في القدّاس. ولكنّ الإنجيل ليس مجرد نصّ. إنّ قراءة إلهيّة. فهناك فهم سليم له وهناك فهم خاطئ. فإمّا يشدّك الروح القدس إلى كلّ البناء أو لك اطلاع مبتور أو مشوّه على الكتاب الإلهيّ. والروح كما نخلص له تكلم جيلاً بعد جيل وترك له شهوداً في كلّ عصر. والتراث الذي هو تواصل الروح والروح أو الحضور الدائم للروح إنّما هو الذي يحفظنا أمناء.

لعلّ للخطأ فائدة، وهو أنّه يكشف لك سطوع الحقيقة فتراها أعظم تعيّنًا وأغزر عطاء. إنّ ما قام به قدس الأب إيليا متري في تدبيح هذه الفصول أنّه تناول معتقد السبتيّين في كلّ مضامينه، ومنه ما ينفردون به كتقديس السبت ومنه ما يشاركون فيه شيئاً أخرى. والمخزن عندما تقرأ الشيع الجديدة أنّها في كثير ممّا تقول تكرّر الهرطقات القديمة. فالتهود الذي هو عصب السبتيّين شاع منذ القرن الأوّل وانبثّ هنا وهناك عصرًا بعد عصر، إذ يصعب على الناس أن يروا جدّة المسيح. وأنّ تقرأ الكتاب الإلهيّ على الطريق الظاهريّة، في جمود حرفيّ لمن الأمور الهيّنة التي بعثت دائماً أصوليّات مذهبيّة تضرب حرّيتنا في المسيح.

غير أنّه لا بدّ من أن نعرف الكتاب في حرفه. ليس أنّه يضمن الروح

غير أن البروتستنتية متعدّدة المناحي، والمنحى الرهيب في السبتيين تهوّدهم. إلى هذا هي فرقة جوهرها بروتستنتي.

ما يعقّد الأمور أن المرسلين "الإنجيليين" الذين جاؤوا إلى هذه البلاد في العشرينات من القرن التاسع عشر ما كانوا يعرفون شيئاً عن الكنيسة الأرثوذكسية. واحتسبوا نسخة عن الكنيسة الغربية واستعملوا ضدنا الحجج التي استخدموها ضدّ الغرب.

نحن لسنا نبتغي الجدل والسجال وعندنا أن من بلغ استقامة الرأي كاملة شاملة يرى كنيستنا "عمود الحقّ وقاعدته" (١ تيموثاوس ٣: ١٥) وتتهاوى البدعة. المسألة في أن تفهم وحدة البناء العقديّ، فإنك إن عرفت الأسس وما قام عليها ينهار أمامك ما خرج على تناسق البناء. المشكلة أن الأرثوذكسية، في بهائها وكمالها، كانت مجهولة في العالم العربيّ. أدبيّاتها قليلة، ورأت نفسها في حالة المواجهة المفاجئة.

ثمّ بدأت النهضة عندنا في مطالع الأربعينات من القرن الماضي وتجلّت الرؤية الأرثوذكسية لنا تجلياً فائق البهاء بحيث سقطت البدع من نفسها.

ما فهمه بعض الإنجيليين المتنوّرين، ولا سيّما في أوروبا أن حوار البروتستنتية ليس معنا ولكنّه مع البابوية. فجانب ردّة الفعل في المحاجة البروتستنتية لا يبلغنا لأنه نشأ في الغرب في وجه الكثلكة.

ولكن الكلمة هي التي كشفها الله للكنيسة، والروح يجعل الكلمة تصل إلى القلب. رجائي أن نعرف الكلمة كثيراً بما هي محضونة آبائنا ومغذية عبادتنا.

بعد مطالعة هذا الكتاب أرجو أن نحسّ أن كلّ الحقيقة قد انسكبت في كنيسة المسيح، وأرجو أن نفهم أنها هي حافظتنا، ولكن الفهم يتطلّب جهداً كبيراً ونسكاً موصولاً.

جاورجيوس

مطران جبيل والبترون وما يليهما

(جبيل لبنان)